ISSN: 2335-1071

Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Juin 2016

Revue périodique a vocation scientifique, traitant des domaines de la critique littéraire, la languistique et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 14

Volume 04

فصل الخطاب | العدد الرابع عشر | جوان 2016 | Revue n°14 | Juin 2016 | Faslo El-Khitab

ردمد: ISSN : 2335-1071

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون -تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

- كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي
- المصطلح البلاغي واقع التوظيف وأبعاد التعليم
- رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية
- استراتيجيّة القراءة ورؤى التّحوّل في الكتابة الرّوائية المعاصرة
- جمالية اللغة في الحوار القرآني

جوان 2016

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والأجنبية

العدد 14

المجلد الرابع

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد الرابع عشر

جوان 2016

ردمد ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون – تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رئيس المجلة

أ.د. مدربل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون ـ تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود امحمد

د. درويش أحمد

د. كبريت علي

د. كراش بخولة

أ. تركي محمد

د. غانم حنجار

د. بوعرعارة محمد

د. قوتال فضيلة

د. مكيكة جواد

د.عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد ـ جامعة تيارت

أ.د. مرتاض عبد الجليل ـ جامعة تلمسان

أ.د. العشي عبد الله ـ جامعة باتنة

أ.د. حسن نعمي ـ المملكة العربية السعودية

أ.د. بشير بويجرة محمد ـ جامعة وهران

أ.د. توفيق بن عامر ـ تونس

أ.د. حسن البنداري ـ عين شمس ـ القاهرة

أ.د. دراوش مصطفى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. فيدوح عبد القادر ـ البحرين

أ.د. خلف الجردات ـ المملكة الأردنية

أ.د. بوحسن أحمد ـ المغرب

أ.د. عباس محمد ـ جامعة تلمسان

أ.د. آمنة بلعلى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. سطمبول الناصر ـ جامعة وهران

أ.د. خميسي حميدي ـ جامعة الجزائر

أ.د. كواري مبروك ـ جامعة بشار

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الفهـــــرس

كلمة رئيس التحرير.....05

كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي(عبد الكريم ابزاري).....07

المصطلح البلاغي واقع التوظيف، وأبعاد التعليم (عدة قادة).....27

تعليمية النحو العربي وفق مستويات التحليل اللساني (أحمد بن عجمية).....43

رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية،

هل هي حاجة فنية أم حاجة اجتماعية؟(أحمد قليلية).....55

جمالية اللغة في الحوار القرآني "التقديم والتأخير"(بكوش جميلة).....67

أسلوب التشخيص في الشعر الجزائري الحديث(خميس رضا).....79

من إيديولوجيا الروائي إلى إيديولوجيا النص الروائي(سليمان بلحسين).....89

الرواية والشعرية، المفهوم والمصطلح(عبددو رابح).....101

معيار الوحدة في القصيدة العربية القديمة،

نظرات في المسوغات النقدية(غانم حنجار).....117

السمات الأسلوبية في شعر رمضان حمود،

وأثرها في بيان تعزيز الانتماء العربي(قاسم قادة).....127

التّوثيق النّظري للأدب الإسلاميّ (مجاهد التامي).....135

استراتيجيّة القراءة ورؤى التّحوّل في الكتابة الرّوائية المعاصرة (سنوسي مها جميلة).....143

لسانيات النص بين الطرح العربي والتنظير الغربي(يعقوب الزهرة).....155

القراءة المستوياتية عند "عبد الملك مرتاض"(شرفاوي أمال).....177

سيميائة التكثيف السردي في القصة القصيرة جدا(قوتال فضيلة).....191

المعنى بين التوحد والتعدد والتبدد (مسعود كلالي).....201

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا قبل:...

في عددها الرابع عشر تصدر مجلة فصل الخطاب وهي تجابه معوقات عدة، ما إن تتخطى واحدة حتى تتبدى أخر متوالدة، متناسلة ومتكاثرة، وكأنها لا تريد أن تنتهي. ولكن بفضل عزيمة طاقمها الخفي، وجهود رجالها الذين يأبون إلاّ أن يتواروا في الظل، لأنهم يفضلون الخفاء على الجلاء، والضمور على الظهور، فبفضل هؤلاء ها هي أعداد مجلة فصل الخطاب تتوالى في حلة قشيبة.

حاولنا أن نصفف مقالات هذا العدد – على كثرة ما يصلنا منها بعد القراءة والتحكيم السري - وفق منظور ما هو متداول، من المفاهيم النقدية التي صارت متداولة وبسطت نفوذها، أثبتت وجودها، وفرضت نفسها على الحقلين الأدبي والنقدي، ثم باقي الحقول التي تتقاطع معها، كما ظلت هذه المفاهيم في حراك وتحول، الأمر الذي أدى إلى تنوعها، وكانت الثورة المعرفية بظهور اللسانيات وما تلا ذلك من تطورات منهجية ونقدية، امتدت لتشمل حقولا أخرى تبدو بعيدة عن حقول اللغة في المفهوم التقليدي لعلوم اللسانيات، كعلم النفس والاجتماع والنقد الأدبي، وغيرها من العلوم والمعارف المعاصرة. وبذلك جعلت من تحليل الخطاب عمدة أساسية لفهم وتحليل ومناقشة النصوص والقضايا والأفكار المطروحة، وفق ما تمليه حدود وميكانيزمات التلقي والتأويل، والتفكيك والتركيب، وكذا آفاق الحوار والتواصل.

وقد تطور اهتمام النقد المعرفي بموضوع التواصل عموماً، واللغة الإنسانية تحديداً. والحجاج تخصيصا. وتأتي اللسانيات، هذا العلم المستجد، في طليعة العلوم التي نزعت إلى تحديد معاصر وعلمي لمفهوم اللغة من خلال دراستها "بذاتها ولذاتها" وبغضّ النظر عن أية علوم أخرى؛ وسعت لاستجلاء مختلف وظائفها في تشجيع الفهم المتبادل ونقل التجارب الإنسانية والتعبير عن الفكر، أيّا ما كان هذا الفكر.

لذلك تسعى مجلة فصل الخطاب جاهدة إلى أن تقارب – من خلال مقالات السادة الباحثين - هذا الاضطراب المفهومي في الفكر العربي المعاصر. كما تسعى إلى أن الوعي بهذا الأشكال هو بالأساس عمليةً فكريةً أكثر مِمَّا هي مسألة تتعلق بمعرفة حدود المفهوم نفسه. بمعنى آخر يرجع هذا الاضطراب إلى أنه مسألة (أكاديمية) بحتة تتعلق بمعرفة بيانات المفهوم ومحدّداته بقدر ما يرتّد إلى عمليةٍ فكريةٍ معقّدةٍ، ومشروطة بالضرورة تاريخياً ومعرفياً. أي بمن تنتج هذه المعرفة التي تأطرت في غياب وعينا ذاته، ثم بطبيعة المفهوم نفسه، وكما يحدد محمد مفتاح في كتابه: تحليل الخطاب الشعري، أبعاد العملية التواصلية في شقيها التواصلي ثم التفاعلي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما التواصلي فيهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجاربه إلى المتلقي، وأما التفاعلي فيدعم مقولة أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه.

تسمح مقاربة الفكر العربي المعاصر لهذه الإشكالية بالتمييز بين جانبين أساسيين في عملية المثاقفة في استقبال الآخر، وعملية استيعابه، لتستحيل المقاربة إمّا إلى التوفيق أو التلفيق. فالتوفيق مذهب يقوم على المفاعلة والتفاعل، لا يجمع من الأفكار والآراء والمفاهيم إلا ما كانت وحدته مبنيةً على أساسٍ معقولٍ، أي حضور الذات في الموضوع، في حين يقوم مفهوم التلفيق على جمع ما لا يجتمع، بنوع من القسر ما بين معانٍ وآراء مختلفة في مذهب يبدو ظاهريا كأنه واحد، في حين تظهر لملفقها متفقة، بسبب عدم الكشف عن التناقض المندس في بنيتها، لذلك شتان بين التوفيق والتلفيق.

وها هي مجلة فصل الخطاب لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي تستقطب الكتابات ذات القيمة المعرفية سواء داخل الوطن أو خارجه إيمانا منا ووفاءً لخطها المرسوم، لأنها تؤمن بأنه ليس ثمة حدود للمعرفة، وبأن الهمّ واحد وإن تعددت أقطارنا، مع الوفاء بأن نهج المجلة لا ينزاح عن تصور الحجاج في أبعاده المعرفية والتداولية والإجرائية، على أنه ليس ثمة فصل في المعرفة فهي بنى متداخلة، يلزمنا أحيانا فقط الإجراء المنهجي قسرا في الفصل بين تخوم المعرفة التي غدت الجدود بينها رجراجة.

وهو ما سيلاحظه قارئ هدا العدد أو غيره من الأعداد السالفة من حضور للخطاب الأدبي بمختلف التوجهات والدراسات النقدية التي تبنته سواء إبداعا أو تنظيرا كما هي الحال في رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية، و الرواية والشعرية، المفهوم والمصطلح، معيار الوحدة في القصيدة العربية القديمة، التّوثيق النّظري للأدب الإسلاميّ، والسمات الأسلوبية في شعر رمضان حمود، ومشهدية التصوير في شعر المقاومة الفلسطيني، والقراءة المستوياتية عند "عبد الملك مرتاض"، كما إن الخطاب الحجاجي لم يكن غائبا ـ كالعادة ـ وقد تمثل في كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي، كل ذلك دون إهمال منا للشق البلاغي خاصة الذي حضر في مقالات متنوعة وهي: المصطلح البلاغي واقع التوظيف، وأبعاد التعليم، وجمالية اللغة في الحوار القرآني وأخيرا مقال لسانيات النص بين الطرح العربي والتنظير الغربي.

نأمل أن تصلنا جهود أخرى في دراسات أخرى تثري حياتنا المعرفية. ونحن هنا ندعو المشتغلين بمختلف الحقول المعرفية التي تصب في حقل الدراسات النقدية إلى أن مجلة فصل الخطاب ستكون فضاء مفتوحا لهم حيثما كانوا ودونما إقصاء.

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

والله نسأل أن نكون مثلما يريدنا أن نكون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التّوثيق النّظري للأدب الإسلاميّ

الطالب: مجاهد التامي
إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد مسعود
جامعة أحمد بن بلة1 ـ وهران ـ الجزائر
جامعة أحمد بن بلة1 ـ وهران ـ الجزائر

تقوم هذه الدراسة على أساس أن المادة الأدبية التي تشكل الجذور التراثية للأدب الإسلامي موجودة حقيقة ثابتة، تؤكدها النصوص الشعرية والنثرية في تراثنا الأدبي، وعليه ينبغي أن نقف عند هذه الأعمال الأدبية التي تمثل التصور الإسلامي، حتى نستطيع ترسيخ المنهج الأدبي الإسلامي وفق الأصول العلمية.

Abstract

This study aims to prove that the literary material that forms a basis for Islamic literary heritage is unchanged reality and poetry flourished in the literary heritage. For this, it must be addressed knew those literary works that constitute the Islamic design in order to consolidate the methodology of Islamic literature according to scientific bases.

يبدو من الطّبيعيّ جدّا أن يتوافر المجتمع الإسلاميّ على توجّه خاصّ يميّز أدبيته عن باقي أدبيات الأمم الأخرى لعلّه بتوافره على تلك الخصوصية في طرائق الانفعال بواقعه يستطيع أن يبلغ أسباب ابتداع أدب إسلاميّ صرف ينبع من صميم قناعاته الرّوحية المتشبعة بالرؤية الإسلامية لأنّ الوظيفة الأدبية عامّة مشتملة في بعض جوانبها الخفية على الوظيفة الإعلامية، وإذا لم يسعف أن يتلاءم جانب الإعلام مع الجوانب الحركية الأخرى في المجتمع أصابه الخلل، وتحامته التناقضات، وانحلّت قوى الازدهار الحضاريّ في أوساطه.

ويكون من الطّبيعيّ جدّا أن يشاكل الأدب الإسلاميّ شعره ونثره كثيرا من خصائص آداب الأمم الأخرى فلا يفرّط في أن يتلبّسه التّفكيرين الخرافي والأسطوري وكيف لا تكون تلك الإحالة موضوعية في ثبوتها التاريخي وقد وجدنا الآيات القرآنية ذاتها تحيل على الغوابر من مثل أخبار عاد وثمود والذين أهلكوا بالطّاغية وسدّ مأرب والحضارات الموغلة أخبارها في القصص التّعجيبيّ البالغ السّحرية وكذلك هناك مسارد لأخبار الجنّ والشياطين بل تتّخذ منها مداخل لإمساس طبيعة أدبية تختصّ بضروب من التّوقيع البلاغيّ المرتكز على دلالات التّعجيب والإدهاش، وبالرّغم من عمق قناعتنا باستحالة كثير من الأخبار والروايات التي يقف التّشريع

تاريخ تسليم البحث: 08 فبراير 2016.
تاريخ قبول البحث: 15 ماي 2016.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآني ـ ذاته مكذّبا لقصصها فإنّ من طبيعة كلّ الحضارات الأدبية الإنسانية أن تختصّ أولوياتها على تلك الضّروب الروايات الأسطورية.

وحسب هذا النّزوع الإغرابيّ الذي يتجذّر كلّ خصيصة أدبية إنسانية أن يقوم دعامة تحفظ لإيقاع التّخييل والتّشبيه والمبالغات التّصوّرية مصداقيتها الانفعالية المبرّرة لكثير من جوانب الممارسة الأدبية الإسلامية وغير الإسلامية.

إنّنا نرى إلى الأدبية الإسلامية على أنّها سلوك ثقافي واجتماعي متكاملي الأداء بالتّوافق مع باقي النّشاطات الحيوية الأخرى في سيرورة المجتمع الإسلاميّ عبر التاريخ، ولقد صادف أن نشأت جملة نزوعات أدبية إمتاعية نبعت أسسها الفنية من صلب تفاعل المجتمع العربيّ الإسلاميّ خاصّة فيما يتعلّق بتضافر الشّفوية العربية مع النّشاطين اللّغوي والبلاغيّ حتّى أكسب ذلك الاختصاص تميزا لأدبية الأمّة العربية الإسلامية منذ القديم وجهة تعبيرية أو لنقل فنية إمتاعية خاصّة متناغمة مع خصوصيات المجتمع العربي الإسلاميّ تتغذّى من نبضه، وتتوشّح بعلاماته، وكان أحرى بالعلماء أن يحافظوا على ذلك المسار المتميز الخاصّ المبني على القناعات الأدبية والفلسفية والتّاريخية ليمنحوا الأبعاد الإبداعية في ذلك المضمار طاقةً متنامية الأسباب، إلاّ أنّ الذي حدث هو العكس فلقد خلدت الذّات العربيّ وخفت صيتها، بعدما اعتورها من الوهن والنّقص والاضمحلال والتلاشي، إلى الرّكود والتّخلّف عن أسباب الريادة في ميادين الإبداع العلمية والأدبية ، وإذا كان تاريخ هذه الأمّة العربية الإسلامية حافلا بالفتوحات المعرفية الواسعة العبر والدّلالات والإنجازات العلمية الرائدة، فإنّ الأدب بكلّ متتبعاته الإبداعية سوف يبقى هو أفضل تلك الميادين قربا من طاقة الحسّ العربيّ، فلقد أوتيت منابع هذا الحسّ العربيّ سليقة أدبية أو شاعرة انطلاقا من أوليات الانفعال بالظّاهرة الأدبية الإسلامية الجديدة التي تفاعلت فيها الوظيفتين الأدبية والعقائدية، لذلك وخلافا عن اللغات الإنسانية الأخرى فإنّ اللّغة العربية مستمدّة طاقاتها الشعرية أو لنقل الأدبية انطلاقا من مكوّناتها المميزة، ويستفحل هذا الأمر ويقوى هذا الاعتقاد حتّى يخوّل لنا أنّ كلّ ناطق بهذه اللّغة مجيد لاستعمالاتها الأساسية لا يخلو من أن تكون له مسكة من أدبية وفنّ ومعرفة بتحسّس مواطن الجمال في الكون واللّغة والتّصوّر والخيال، " وهذه هي اللّغة الشّاعرة في حروفها قبل أن تتألّف منها كلمات، وقبل أن تتألّف من الكلمات تفاعيل، وقبل أن تتألّف من التّفاعيل بيوت وبحور"[1]

لم تذعر الذّات العربية ولم يصبها ذلك القلق في أيّ شيء من ممتلكاتها الدّنيوية ذعرها وقلقها بإمساس الدّين لمقدّساتها الأدبية أو التي كانت تشكّل لديها كلّ التّوجّهات العلمية والمعرفية البالغة الحساسية في حياتها، ومن ثمّة فقد هبّت الذّات الأعرابية الجاهلية تذود عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقائها ووجودها والدفاع بكلّ ما أوتيت من أسباب القوّة عن تراثها الإبداعي الذي كان يمثل حياتها ولم تخلد إلى شيء من فرص المهادنة إلاّ بعد أن عثرت لها على مبتغيات فنية وجمالية من خلال ركونها إلى الاعتراف بمبدأ الأمر الواقع الجديد الحاصل فقد كان لاعتراف الوليد بن المغيرة شيء من تلك القناعة الطّارئة التي ليّنت القلوب وطمأنتها، وهدّأت النّفوس، وبناء على هذا الاعتقاد فقد كان لأدبية القرآن الحظّ الصائب في جعل جلود الأعراب تلين فتسمع مقاصد الدين الجديد وتلين له، لقد اطمأنّت النّفس الأعرابية التي تربّت على قناعات أدبية وجمالية جاهلية إلى كون هذا الدين يخاطبها بروح أدبية أتت من وراء النفوس هيّأ لها كلّ مقوّمات التّعبير البلاغي المناسب لقناعاتها الجمالية في الحياة، وقد انبنى على هذا التّحوّل الطّارئ أمور بالغة الأهمية أهمّها كيف استوى للأعراب أن يفرّطوا في تراثهم البلاغي والشّعريّ ملتحقين بمقوّمات أدبية نافستهم السّيطرة على قوى الإبداع، واستمدّت بضاعتها من معين ما كانوا يعتزّون بالتّفرّد في حيازته والتفوق فيه، ولقد خاطرهم سحر البيان القرآني الطّارئ بتبنّيه للمجازات النائية المغدقة بفنون التّصوير والتّخيل الهادم لما طالما تحفّظت وتسترت على تجاوزه طقوس العادة الجاهلية، وقد كان لا سبيل إلى إنشاء الأدبية العربية الحديثة إلاّ بحصول القناعات الهادمة لتقاليد البلاغة الجاهلية وكان أن باغتتهم بلاغة القرآن في حصونهم المشيّدة طيلة الحضارات العربية البائدة وزعزعت وجودهم وركنتهم إلى الوراء، وكان أن جنى العرب من قرآنية القرآن مجاني بالغة الأهمية حقّقت لهم الفتوحات الخالدة في مجال التّوليد الأدبي الجديد من ذلك تجاوز حدود التّصوير الاستعاري التقليدي إلى ما هو أبلغ وأطغى وأبدع وأهم حين تنزّلت الآية: (إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنّه رؤوس الشّياطين)، فكان المتأوّلون يقتدّرون بهذا القدر من التّبعيد المجاري الكاسر لحدود التّحفّظ التّقليدي الذي طالما حدّ من حرية انفعال الذّات العربية بدلالات الكون والحياة والنّفس الإنسانية معا على أنّه "... لو كان شيء أبلغ في الزّجر من ذلك لذكره... والنّاس لا يفزعون إلاّ من شيء هائل شنيع قد عاينوه أو صوّره لهم واصف صدوق اللّسان، بليغ في الوصف، ونحن لم نعاينها ولا صوّرها لنا صادق وعلى أن أكثر النّاس من هذه الأمم لم يعاين أهل الكنائس، وحملة القرآن من المسلمين ولم تسمع الاختلاف، ولا يتوهّمون ذلك ولا يقفون عليه ولا يفزعون منه، فكيف يكون ذلك وعيدا عامّا؟ قلنا: وإن كنّا نحن لم نر شيطانا، ولا صوّر لنا صادق بيده ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان ..."[2]، ومن هنا وانطلاقا من هذه المناسبات الأدبية الطارئة التي جاءت به أدبية القرآن فقد سلك الدين الجديد مسلك واضحا في التّأسيس لجمالية أدبية تضافرت فيها الحضارة العربية مع الروح الإسلامية منتجة سمات العهد الجديد وفق الرؤية الإسلامية الجديدة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كان موضوع الإعجاز مثار إرهاصات نقدية وإيحاءات لفظية نبّهت العقل العربيّ إلى ضرورة التّعاطي مع نتائج الوعي التي أفرزها اختلاط العقلية العربية الجاهلية بثقافة الدين الإسلامي المتنزّل على أفئدتهم، وكان لزاما على الحسّ الأدبيّ العربيّ أن يتأثّر تلك المتغيّرات الروحية الممتدّة آثارها الوظيفية إلى مدارك العقل وانفعالات الحسّ، ومن ثمّة فقد أثّرت أدبية القرآن عبر تنوّع مظاهر تجلّيها في تأسيس قواعد الانفعال البلاغيّ الجديد والذي يمكن أن نتمثّله اليوم على أنّه كان يمثّل حسا تطوّريا تحديثيا بالنّسبة للمنجزات الجاهلية، لقد كانت القناعتان الدينية من جهة والأدبية من جهة أخرى تتسايران وتتناغمان ضمن مؤدّى ثقافي عقيدي متكامل الوظائف والأهداف والغايات، لقد جلبت الديانة الإسلامية الطّارئة منهج حياة متكامل الأداءات لم ينتقص من طموحات العربيّ شيئا، بل كان مساعدا على إغناء التّجربة وإثرائها، وتنويع مصادر الثقافة بالإضافة إلى الطّاقة الإبداعية التي أوجدها في نفسية العربيّ، فلقد كان دينا يتأسّس على التّرغيب في الإبداع والتّطوّر وإعمال صفاء الفطرة باعتبارها شرعة اللّه التي فطر النّاس عليها

يشهد واقع الحياة ويصدّق أنّ ثمّة مجالات حيوية مختلفة هي التي تستثير الذّات الأديبة وتجذبها لتتفاعل مع تلك المعطيات الواقعية أو الخيالية، ولكن على أن يبقى لكلّ تجربة إطارها العمليّ الخاصّ بها المستوعب لمصداقية حاجة الواقع إليها، وما أضرّ شيء بالأدب والفنّ والجمال مثلما أضرّ به سوء تقدير أبعاد الأمور، فقد ظلّت بعض العقول المتحجّرة التي توقف بها الزمن ترى إلى الأدبية على أنّها مشاكلة في إجراءاتها ووظيفتها بما تقوم عليه الفكرة الدّينية جاهلة أنّ لكلّ طبيعة تفكير مضمار نجاعة ونجاح لا يغادرها، فلا يراد من الشّعراء ما يراد بالأنبياء، وربّما فهم بعض الفقهاء المحسوبين على الحركة الأدبية خطأً بعض الالتزامات التي يختصّ بها مضمار الإبداع الأدبيّ، وربّما كان هذا التفكير الضيّق هو الذي أوحى للبقلاّني في إعجاز القرآن بأن يقارن بين القرآن والشّعر حتّى دفعته حماسة الذّود عن فضائل قرآنية القرآن والتّعصّب لها بأن توأم ما بين الاختصاصين وذلك منهاج مشين، ومذهب ناقص، ورؤية زائغة، والأعدل في توخّي تلك أن يرى لكلّ خصّيصة بمعزل عن الخصّيصة الأخرى فلا تختلط الأوزان، وتتداخل الاعتبارات، وربّما كان قد فات القدماء الذين بنوا مناهجهم على مراعاة القوانين الأخلاقية وتقديسها أنّ حقول الدّلالة الأدبية نسبية تعترض سبيل واردها الزّلل والالتباس لأنّ مصدر الدّلالة الأدبية القلب والقلب قلّب واللّسان خائن، والمضنّات قائدة إلى الافتراء والشكّ والتّغليط، وأمّا شرعة الدين فقد تركها الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم على المحجّة البيضاء التي ليلها كنهارها، ولعلّ هذا التّوخّي والتشابه ما بين الاعتبار بالتفكير الديني والاعتبار بالتّفكير الأدبي هو الذي ورط القدماء في كثير من المآزق الأخلاقية التي من شدّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعارضها مع مبادئ الإمتاع والتّفنّن والمباهاة، ولنا في مقولة الأصمعي وهو أحد العلماء الّذين تطبّعوا على روح الثقافة الجدية: الشّعر بمعزل عن الديّن، خير شاهد على مدى ترسيخ قيم ثقافية أدبية صارت تعطي ما للّه للّه وما لقيصر لقيصر، ونرى أنّ التّفكير الإنساني في كثير من المناسبات كان هو المنقذ لسيرورة التّلاؤم ما بين الأدبية والدينية بالنّظر إلى بثّ اللّه في طبيعته من قابلية فائقة لتقدير الأمور، وتدبّر الحقائق بالفطرة "... ومعنى هذا أنّ الإنسان هو الموجود الذي يملك أن يتعقّل ذاته دون أن يفكّر في شيء آخر غير ذاته... "[3] وتلك الرّوح والمعيارية الفطرية الطّبيعية هي التي أنطقت الوليد بن المغيرة في تمييزه خصوصية إيقاع بلاغة القرآن باعتباره أحد أعلام الأدبية الجاهلية الطّاغية وقد أهّلته ثقافته الراسخة لأن يعاين فارق الاعتبار بين الكونين: كون الأدبية الجاهلية وكون قرآنية القرآن.

لقد أسهم وعي الواقع عبر كلّ أبعاده المؤطّرة لحركيته الواسعة المتشعّبة من التفطّن لحدود اللّعبة المجازية، حيث أصبح في الاعتبار أنها ليست الحقيقة هي الوحيدة بإفادة الخطاب، فالمصداقية التّأثيرية قد تتولّد من طابع الشكّ والإيهام والتردّد الذي تشحن به الأخبار الأدبية ، ومصداقا لهذا المنهج التّفكيري فقد حظي موضوع الإسناد بأهمية متميّزة في حيّز الدرس البلاغي وبالتّحديد تحت اصطلاح: أحوال الإسناد الخبريّ، وقد تدعّم هذا التّفهّم العميق لأجواء التّعبير بأنّ تفهّم النّاس حقيقة الوظيفة الإخبارية انطلاقا من الواقع، فقد يصدر الإخبار عن متردّد، أو عن خائف، أو عن متحمّس، وقد يقع الإخبار بالرّمز، والإلماح والتّكنية، ثمّ تثبّت العارفون بطرق البلاغة والإبلاغ أنّ بعض التّوقيعات الدّلالية تزيد فائدتها وتقوى كلّما خالفت التّصريح المباشر بالحقيقة، فالمجاز في كثير من الاعتبارات الواقعية والأدبية أبلغ من الحقيقة، ولقد صار النّاس يتساءلون مفتونين بحدود الدّلالتين في حيّز البلاغة القرآنية على أن ملخّص تلك التفاعلات التي أثريت حول مرامي وأبعاد الخطاب القرآني أنّ القرآن سعى في كلّ تفاصيل آياته إلى إسعاد الإنسان تعبيرا وتصويرا وتخييلا وحكاية وإشارة وصراحة وبلاغة، ولقد ترتّب على توجّس البلاغيين من إثارة فتنة القول في هذا الموضوع أنّ بنوا الفائدة اللّغوية أو الكلامية على ما يترتّب عليها من تحمّل مسؤولية الإخبار على الاعتبارين الحقيقة العقلية والحقيقة المجازية على أنّهم وصلوا الاعتبارين بفائدة حقيقة الإخبار ونقل الأخبار ورواية الحديث وتفصيل الحكاية حيث اشترطوا الامتياز العقليّ في كلّ تلك الوظائف[4].

لقد تمثّلت القاعدة التبعيدية التي توقّع بها الدّلالات المجازية في الأعراف العربية محدودة بجملة علاقات معرفية لا يتعدّى وعيها المعطيات الواقعية البيّنة، لذلك لا يعدو التشبيه في أوج إيقاعاته الدّلالية المعنوية بأن يتّبع قاعدة إلحاق ناقص بتامّ، وغائب بحاضر، ثمّ ما فتئت الآية أن انقلبت وأعطيت الذّات بسموّ لطائفها في العطاء الرّوحيّ أن تجاوزت تلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأعراف، وطوّرت تلك القواعد، فارتأت مظانّ توقيعية تصويرية تخييلية أهّلتها لنيل مراتب دلالية إمتاعية هي غاية في الفنّ والجمال فقد صارت قاعدة التشبيه تتوسّل كلّ مناسبة وتقتفي كلّ حسّ حتّى صار الغائب مشبّها بالغائب والناقص منظورا إليه تاما لاعتبارات روحية نفسية يمكن استغناء الذّات الأديبة المبدعة أن تتجاوز خلالها المعطيات العقلية المنطقية الواقعية إلى شيء من بلاغة السّحر والتّعجيب والإطراف، ثمّ ثبت في الحسّ الأدبيّ أنّ تشبيه الناقص بالنّاقص والغائب بالغائب هو ضرب من الموافقات الحسية الوظيفية في الحياة لجأت الأدبية العربية الجديدة إلى أن تستقيها من تفاعلات الحياة العربية في أوج تناقضاتها الروحية والحسية والمعرفية، ثمّ تبيّن بعد ذلك أن لا حدود للاعتبارات الإنشائية فالدّلالة الأدبية وخاصّة منها الشّعرية قادرة على النّفاذ إلى عمق المظاهر، مثلما يكون في أصل ابتداعها أن لا يتقيّد بقاعدة تصوّرية أو تفكيرية معيّنة، وعندها تثبت قاعدة أنّ الاعتبار بالغيبيات أبلغ وأطغى من الاعتبار بالمرئيات والشّواهد المادية، حيث استطاع الحسّ الأدبي الاهتداء إلى اكتشاف مناطق انفعال جديدة هي التي منحته غناء التّخييل والتّصوّر والانفعال بقيم الحياة جميعها بدون تحفّظ أو تمييز، حتّى ثبت بما يدع شكّا أنّ المراهنة على توظيف الدّلالات الغيبية الأكثر تعقيدا وسحرية أبلغ من المعاينة.[5]

والذي هو جدير بالملاحظة أنّ الدّرس البلاغي ازدان بالمؤثّرات الجمالية التي أفادتها أساليب القرآن الكريم، بل لعلّنا لا نخطئ الصّواب إذا قلنا: لقد غدا موضوع الإعجاز فاتحا لأفق تصوّري فكريّ استحوذ على القسط الأوفر من اهتمامات البلاغيين العرب، لذلك فقد كان لزاما على كلّ خائض في سياق بحث التّوجّهات البلاغية الجديدة التي أثارها التصوّر الإسلامي أن يعتبر بالقضايا القرآنية ذات الصّلة المباشرة بقضايا الإعجاز، وقد صار للبلاغة طرفان: " أعلى إليه تنتهي وهو حدّ الإعجاز، وما يقرب منه، وأسفل منه تبتدئ وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطّرفين مراتب كثيرة متفاوتة "[6]، وأمّا ما يجتنى من هذه التّعليمات والتّحديدات فهو اتّساع الفارق المباين بين مراتب الإبداع والإجادة في حقل التّعبير البلاغيّ وهي فضاءات تتفاعل ضمنها القرائح، وتتنافس في مضاميرها العقول، وحتّى وإن بدت لنا معلّمة مرسّمة النّهاية فإنّها تبقى مجرّد إيهاب بتلك الغاية لأنّ يوضع الإعجاز القرآني في الرتبة العليا والمكانة الأسمى بعيدا عن اجتهادات الأدباء وتطاول الغاوين.

ويعتبر موضوع الإعجاز من ناحية خفية من أبرز العوامل التي ألهبت أحاسيس البلاغيين ليس مجاراة لمناجزة الأسلوب القرآني، بل لأنّ موضوع الإعجاز كان كفيلا بأن ينبّههم إلى سعة ميدان السّبق واستفاضته على قوى التّجريب التي تتّسع لاستيعاب الكفاءات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإبداعية اللاّمتناهية الحدود، إذا فلا سبيل إلى الاعتبار ببعض المقولات المتعجرفة التي ترى في حدّ سقف الإعجاز البلاغيّ خطّا أحمر يقصر على الأدباء والشّعراء ليبقوا أبدا متخوّفين من الطّموح إلى نيل المقاصد العزيزة الشّريفة التي حواها القرآن الكريم، فالإعجاز كان سبيلا إلى إشعار أطراف الخطاب أو المرسل والمرسل إليه إلى ضرورة التّحلّي بالنّسبية فليس ثمّة حدّ تحجب أفق الإبداع عن متعاطيه، وواضح جدّا أنّ لهذه المسألة البلاغية الإبداعية مستتبعات دراسية أخرى قوامها الفصاحة والخطابة والبيان والبديع والمجاز وهي في جملتها مرتكزات فنية جمالية تشعّبت علومها واستبانت فنونها بحلول مرحلة التّأدّب القرآني أو التّربية الفنية الجمالية المستندة إلى روح الدّين الإسلاميّ، لأنّ في تناسب اللّغة مع الواقع وعدم إجرائها على التّطابق يكون الحسّ المبدع قد ضمن له الانفعالات الواسعة الرؤى، فقد التبس الفكر بالرؤى وتشاكل الواقع بالوهم فكان ذلك من الأنسب لازدهار المعاني المجازية ومن ثمّة ارتقاء الحسّ الأدبيّ ليجرّب تفعيل بعض القيم التي كانت في منأى عن حيازته إياها.

إنّ الذي كان يعطّل قوى الإبداع في المرحلة الأولى التي هي مرحلة التّقعيد هو احتراز الأدباء والشّعراء من الوقوع في الخطأ اللّغوي فقد كانت المرحلة مرحلة عقلية لم تدم طويلا ونرى أنّ سبب سيطرتها على حيّز زمانيّ بعينه مردّها إلى الاحتراس العقلي والنّقلي الذي تميّزت به مرحلة ترسيخ المرجعيات الدّينية من قرآنية وفقهية وتاريخ وسير، ثمّ ما فتئ الزّمان أن أبان عن نهج حضاريّ متملّك لكلّ أسباب الثقة في النّفس والتعويل عليه، فكان كفيلا بأن يمنح النفوس والعقول كثيرا من الاطمئنان والرصانة إلى انتهاج مقدّرات الثقافة العربية الإسلامية الجديدة.

ولقد أفادت شدّة الاهتمام والاحتراس عند العلماء والأدباء معا سواء حبّ التّفهّم والاستيعاب بسلوكهم سبيل تتبّع أصول المقاصد خاصّة وأنّ الأحكام الفقهية كانت تجري ذات المجرى وتنهج ذات النّهج، فالاشتغال بإحصاء مواطن الإعجاز وتعيين سمات التّفاوت بين القرآن والأدب بشقّيه: النّثري والشّعري مفازة إلى اكتساب الوعي المعرفي النّقدي المتعمّق للظّواهر الإبداعية فتشقّقت العلوم وازدهرت الأفهام وغنيت التّجارب، واستدام ذلك التفاعل المثمر بين الإبداع من جهة والنّقد التّطبيقي الوظيفي من جهة أخرى، فكان ذلك المسعى أو التّوجّه كفيلا بأن ينتج جملة اعتبارات نقدية فلسفية هي التي نراها أسّست لعلم الجمال أو الفنّ العربيّ الإسلاميّ لأنّ ما كان لذلك أن يحدث لولا حصول التّلاقح المتين العميق والأصيل بين علوم الدين وعلوم الأدب، وبناء على هذا التّوجّه التّلاقحي بين الدين والأدب فقد اجتهد علماء أجلاّء في ميدان ما يشبه التّشريع الجمالي فبرزت إلى الوجود جملة من القيم الأدبية الأخلاقية من أبرزها موضوع الصّدق والكذب أي الحامل والمحمول ".. فالعلم كلّه قسمان:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جوهر حامل، وعرض محمول ولا مزيد، ولا ثالث في العالم غير هذين القسمين، هذا أمر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحسّ... "[7].

وإذا كان هذا الضّرب من الوعي النّقدي في نظرنا جارًا للتّفكير الأدبي لأن يخالط مبادئ الفلسفة والمنطق فلقد أفاد من حيث لم يقصد إثارة مبادئ التفكير الفلسفي المولّد للاعتبارات الفنية والجمالية التي بدأت تتّسع طرائقها وترسّخ تقاليدها الأدبية من خلال التّجربة الأدبية لأن تلامس غايات إنسانية جديدة وتفتح آفاقا واسعة.

مراجع البحث وإحالاته:

1: العقّاد، اللّغة الشّاعرة، مطبعة الخانجي، بمصر، ص: 13

2: الجاحظ، الحيوان، مج: 2، تح: يحيى الشّامي، دار مكتبة الهلال، ط: 1990/3، ص: 427

3: د. زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية، مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، ص 51

4: ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجة، مج: 1، دار الجيل بيروت لبنان، ط: 3 / 1993، ص: 66/65

5: المبرّد، الكامل في اللّغة والأدب، ج: 2، ص: 79

[6]: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجة مج: 1، دار الجيل بيروت لبنان، ط: 3/ 1993، ص: 47/46

7: أبو محمد علي بن احمد المعروف بابن حزم الظّاهريّ، الفصل في الملل والأهواء والنّحل، ج: 5، تح: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة،
1985، ص: 161

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com